وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

دور الهدايات القرآنية في تأصيل القيم الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري

اسم الباحث/ـة

د/ نبيل بلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن مما يتنازع عليه العالم اليوم قضية القيم الإنسانية، وأيُّ الأديان والأفكار أكثر تأصيلاً واحتراماً لها، وانطلاقاً من إيماننا الراسخ أنَّ القرآن الكريم قد أصَّل للقيم الإنسانية وأرسى قواعدها قبل نشوء المذاهب الفكرية الغربية، توجَّه البحث في هدايات القرآن للتي هي أقوم فيما تعلق بالقيم الإنسانية منها، فإنَّ هذه الهدايات تحتاج إلى استقراء واستخراج، ثم تحليل وتفعيل، ثم إسقاط على الواقع لإصلاحه، بغية الإسهام في البناء الحضاري الذي ينبغي أن يبنى على أساس متين.

بناء على ما سبق، يمكننا أن نطرح إشكالية علمية يحاول البحث الإجابة عنها، صياغتنا كالتالي:

- هل نجد في الهدايات القرآنية ما يعزز القيم الإنسانية، فيسهم في البناء الحضاري؟
- وكيف السبيل إلى تفعيل ذلك في عصرنا؟

ولأهمية هذا الموضوع -خاصة في زماننا- فإن هذا البحث يهدف إلى مجموعة من الأهداف، هذا ملخصها:

١- تأصيل القيم الإنسانية انطلاقًا من الهدايات القرآنية.

٢- بيان المفهوم الصحيح المنضبط لهذه القيم في ضوء الهدايات القرآنية.

٣- اقتراحُ أنجعِ السبل لتفعيل هذه القيم القرآنية للارتقاء بالإنسانية في واقعنا المعاصر.

٤- بيان بعض النماذج المعاصرة لتفعيل القيم الإنسانية القرآنية.

وأما **منهجية البحث**: فهي استقرائية تحليلية، لِما تعلق بالقيم الإنسانية في القرآن الكريم، ثم المنهج المقارن عند الموازنة بين القيم الإنسانية عند الغرب وعند المسلمين.

الدراسات السابقة: بعد تتبع ما كتب في هذا المجال، لم أجد من تكلم عن هذا الموضوع بهذه الدقة والتفصيل، وإنما وجدت دراسات قريبة من موضوع بحثي على رأسها:

١-**القرآن الكريم والقيم الإنسانية**، د. عبد اللطيف محمد عامر، صدر سنة ١٤١٨هـ، تكلَّم فيه المصنِّف عن بعض القيم الأخلاقية، والقيم الاجتماعية التي أشارت إليها آيات القرآن الكريم.

٢-**مقومات الإنسانية في القرآن الكريم**، د. أحمد إبراهيم مهنا، صدر سنة ١٤٢١هـ، تكلم فيه المؤلف عن مجموعة من القيم الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية التي ذكرها القرآن الكريم.

أما الجديد الذي يقدمه البحث: فهو تقديم نظرة علمية واضحة المعالم لعلاقة القيم الإنسانية بالهدايات القرآنية، مع التمثيل بأبرزها، والبحث في سبل تفعيلها، للبناء الحضاري الذي تنشده الأمم.

خطة البحث:

المقدمة: مفاهيم أساسية عن البحث.

المبحث الأول: الهدايات القرآنية مفهومها أهميتها.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة احترام (حقوق الإنسان).

المبحث الثالث: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة (التراحم الإنساني).

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة (التعايش الإنساني).

المبحث الخامس: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة (العدل الإنساني).

الخاتمة: نتائج البحث، والتوصيات.

المقدمة: مفاهيم أساسية عن البحث.

قبل الخوض في غمار هذا الموضوع الشيِّق والمهم في الوقت نفسه يحسن بنا أن نقف على معاني مصطلحات عنوان البحث.

(**الهدايات القرآنية**): مصطلح حديثٌ يُقصد به: «الإرشادات اللَّطيفة التي دلَّ عليها القرآن الكريم، الموصلة لجلب الخيرات ودفع المضرات» وهذه الإرشادات هي معاني لطيفة تستنبط من الآيات بعد التتبُّع والاستقراء.(١)

(**التأصيل**): يمكننا تعريفه بإيجاز بالقول: «هو ردُّ الشيءِ إلى أصله، ببيان أدلَّة مشروعيته التي يبنى عليها، حتَّى يكتسب المصداقية» والمقصود هنا هو: (التأصيل الشرعي)، الذي هو ردُّ الشيء إلى أصله الشرعي بالدليل تأسيسًا لمشروعيته.(٢)

(**القيم الإنسانية**): مصطلح مركَّب وحديث، له معاني وأبعاد يمكن اختزالها بالقول إنها: «مجموعة من القواعد والمُثُل العليا التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني، والتي تُتَّخَذُ معيارًا للحكم على السلوك البشري، ومدى تقديره للإنسان من حيث كونه إنسانًا»(٣)

(**البناء الحضاري**): مصطلحٌ معاصر كذلك يمكن تعريفه بأنَّه «إنجازات الإنسان المادِّية والفكرية عبر الزمن، للنهوض بأمر حياته وتطويرها في مجالات عديدة».(٤)

بناء على ما سبق من شرح مصطلحات عنوان البحث، يمكن أن نُوجز هنا شرح هذا العنوان في وحدة متكاملة، بالقول إنه: «البحث في الإرشادات

---

(١) ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، نخبة من المتخصصين: ص ٤١- ٤٢.

(٢) ينظر: المصباح المنير، للفيومي: ١/ ١٦.

(٣) ينظر: القيم بين الإسلام والغرب، د. مانع بن محمد المانع: ص ١٥ و ٩٠.

(٤) ينظر: منهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في البناء الحضاري، أ.د. وضحة عليوي صالح: ص ٨٢٧.

القرآنية اللَّطيفة التي قَعَّدَت وأسَّسَت لمشروعية القواعد والمُثل العليا المتعلِّقة بالإنسان، وضرورة احترامها وتقييم السلوك البشري بالعرض عليها، بما يُحَقِّقُ المصلحة ويدفع المفسدة التي دَلَّتْ عليها الشريعة الإسلامية».

المبحث الأول: الهدايات القرآنية مفهومها وأهميتها.

الهدايات القرآنية:

الهداية لغة: هي التقدُّم للإرشاد، من هدَى يهدي فهو هادٍ، أي: متقدِّمٌ للإرشاد والدِّلالة، يقال: هداه الله هُدَى: أرشدَهُ، وهديتُهُ الطريق هِدَاية: أَدْلَلْتُهُ عليها، وضدُّه الضلال.(١) فإذا كانت الهداية بدلالة فهي الإرشاد، فيقال: هَدَيْتُ، وإذا كانت بعطية فهي الهدية، ويقال: أَهْدَيْتُ،

قال الراغب الأصفهاني: "الهداية دلالة بلطف، ومنه: الهديّة...وخصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديتُ".(٢)

وخلاصة القول: أنَّ الهداية في اللغة تدلُّ على معنى الدلالة، ومنها والإرشاد بلطف، وهي ضِدُّ الضلالة التي من معانيها التِّيه والانحراف عن جادَّة الصواب، كمال في قوله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىٌ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٨]

يقول الواحدي: "وأصل الهداية في اللغة: الدِّلالة، وهَوَادي الخيل والوحش التِّي تتقدم للدلالة... هذا هو الأصل، ثم سمِّي كلُّ متقدِّم هاديًا وإن لم يتقدم للدلالة".(٣)

الهدايات القرآنية اصطلاحاً:

الهدايات القرآنية مصطلح مركَّب من لفظ الهداية -وقد سبق شرحها-، والقرآن: وهو كلام الله المحفوظ في الصدور المكتوب في المصاحف، أمَّا معناها لفظا مركبًا فيتوجَّه الكلام عليها من جهة كون الآيات القرآنية تدلُّ وترشد بمنطوقها ومفهومها إلى ما فيه مصلحة.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: ٦/ ٤٢. الأفعال، لابن الحداد السرقسطي: ١٤٢/١. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده: ٣٧٠/٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ص ٨٣٥.

(٣) التفسير البسيط، الواحدي: ٥١٨/١- ٥١٩.

بناءً على ما سبق (فالهدايات القرآنية) مصطلح حديث يقصد به: «الإرشادات اللَّطيفة التي دلَّ عليها القرآن الكريم، الموصلة لجلب الخيرات ودفع المضرات» وهذه الإرشادات معاني لطيفة تستنبط من الآيات بعد التتبع والاستقراء.[1]

فلم يكن هذا المصطلح معروفًا بهذا اللفظ المركب عند المتقدمين من المفسِّرين وغيرهم، وإنما كانوا يستعملون لفظ **(هدى القرآن، وهداية الآيات)** ونحوها، ولعلَّ من الأوائل الذين استعملوا هذا المصطلح بهذا التركيب والجمع، الإمام أبو السعود العمادي (٩٨٢هـ) الذي قال في تفسيره: "﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ شروع في بيان بعض وجوه ما ذُكر من الهداية بالإرشاد إلى مسلك الاستدلالِ بالآيات والدلائلِ الآفاقية التي كلُّ واحدة منها برهانٌ نيّرٌ لا ريب فيه ومنهاجٌ بيّنٌ لا يضل من لا ينتحيه؛ فإن الجعلَ المذكورُ وما عُطف عليهِ من محو آية الليل وجعل آيةِ النهار مبصرةً وإن كانت من الهدايات التكوينية لكن الإخبارَ بذلك من **الهدايات القرآنية** المنبّهة على تلك الهداياتِ".[2]

أهمية العناية بالهدايات القرآنية:

لا شك ولا ريب أنَّ الهداية إلى الصراط المستقيم –صراط الله–، هو هدف كلِّ مسلم يريد السعادة في الدنيا والنجاة يوم القيامة، فإنَّ الله تبارك وتعالى لما أنعم علينا بنعمة الخلق من عدم، أتبعها بنعمة الهداية الفطرية، فقال: ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠]، وبقي على المكلَّف تطلُّب الهدايات الأخرى المكتسبة، وأن يرتقي في تكميل نفسه بتلك الهدايات، ولن يجدها كاملة إلا في القرآن الكريم الذي أنزله الله هدى ورحمةً للعالمين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِى لِلَّتِى هِىَ أَقۡوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

---

[1] ينظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، نخبة من المتخصصين : ص ٤١– ٤٢.

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: ١٥٩/٥.

ومع تقدُّم الزمان، وحدوث تغيرات كبيرة في المجتمعات، واستحداث أشياء كثيرة لم يعرفها السابقون، زادت الحاجة إلى معرفة أصول الهدايات القرآنية، التي تنزل على واقع الناس لتنير طريق المسلم السالك، فيصبح المسلم ينظر بنور من الله، فيُسَدَّدُ في قوله وفعله ومواقفه، ويرتفع من مقام الحيوانية إلى مقام الإنسانية التي هذَّبها الوحي، يقول البشير الإبراهيمي: "القرآن كتاب الإنسانية العليا...وما أحوج الإنسانية اليوم إلى القرآن وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال، وقد عجز العقل عن هدايتها وحده كما عجز قديمًا عن هدايتها لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي، الذي يقوي ضعفه إذا أدركه الوهن ويصلح خطاه إذا اختل ميزانه ".(١)

فلا مناص للمسلم حينئذ أن يستتبع هدايات القرآن، لينجو من مضلات الهوى والفتن التي تكثر في آخر الزمان ويشتبهُ أمرها، وليتخذ القرارات الصائبة في تصرفاته وعلاقاته بأصناف الناس الذين تتنوع اعتقاداتهم وتوجهاتهم.

بناء على هذا يمكننا أن نلخِّص جوانب أهمية العناية بالهدايات القرآنية في نقاط:

أولا: الهدايات القرآنية هي الحقُّ الذي لا مرية فيه، وليس بعد الحقِّ والهدى إلا الضلال، والضلالة في النار، كما قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، فمن قصر في معرفة الهدايات القرآنية، فلا سبيل أمامه إلا أن تتخطَّفه الأهواء الشيطانية، فيقسو قلبه، فيهلك مع الهالكين، كما قال الله تعالى:

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]

(١) آثار البشير الإبراهيمي: ٢٤٩/٢.

ثانياً: العناية باستخراج الهدايات القرآنية يكشف لنا الأسرار والمعاني العميقة للكلمات القرآنية، وتعيننا على الفهم والتدبر الأمثل للقرآن الكريم، كما أمر الله تبارك وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] يقول ابن القيم:

فتَدَبَّرِ القُرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى ... فالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُرآنِ(١)

فإن من أعظم أسباب عدم الانتفاع بالقرآن، ترك هداياته استنباطاً وعملاً، حتى تصبح تلاوة القرآن تُراد لذاتها، فلا ترى للقرآن تأثيراً على النفوس ولا تزكية للقلوب، وقد نبَّه البشير الإبراهيمي على هذا الداء فقال: "وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي، وبهذا الأسلوب التقليدي من التفسير اللفظي- فإنه لا يفيدهم شيئًا ولا يفيد بهم شيئًا. بل يزيدهم بعدًا عن هدايته".(٢)

ثالثا: استنباط الهدايات القرآنية من شأنه أن يعزّز القيم الإسلامية ويؤصّل لها، حتَّى تترجم واقعًا في سلوك إيجابي، وتكون تلك القيم هي الميزان الذي توزن بها سلوكات البشر، وتظهر الأهمية الكبرى في عصرنا هذا الذي تتصارع فيه القيم الغربية مع القيم الإسلامية، وتحتاج القيم الإسلامية إلى تأصيل وتفعيل حتى تتمكن من سياسة المجتمعات، يقول البشير الإبراهيمي: "كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة لجميع البشر يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها".(٣)

رابعاً: الهدايات القرآنية هي أدواء لشفاء الأفراد والمجتمعات من أمراضها المستعصية: (أمراض النفوس وأمراض القلوب)، والله تعالى يقول: ﴿ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤] يقول ابن القيم : "واعتبِرْ هذا بأعظم

(١) نونية ابن القيم (الكافية الشافية): ص ٥٥.

(٢) آثار البشير الإبراهيمي: ٢/٢٤٩.

(٣) آثار البشير الإبراهيمي: ٢/ ٢٥٠.

الأدوية والأشفية، وأنفعِها للقلوب والأبدان والمعاش والمعاد والدُّنيا والآخرة، وهو القرآن الذي هو شفاءٌ من كلِّ داءٍ...وليس لشفاء القلوب قطُّ دواءٌ أنفعُ من القرآن، فإنَّه شفاؤها التَّامُّ الكامل الذي لا يغادر فيها سقمًا إلا أبرأه".(١)

وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧] بيان أن الصدر والقلب لا يشفيه إلا القرآن، يقول ابن باديس: "وجاءت آية يونس بتقييد الشفاء بها في الصدور الذي هو مستقر العقائد؛ لأنَّ ذلك هو المقصود الأوَّل من هداية القرآن، وأصل لغيره، فإنَّه إذا شفيت الصدور من عقائد السوء، ونزغات الشكوك، واعتقدت الحقَّ، وارتبطت على اليقين؛ زَكَتْ النفوس واستقام سلوك الإنسان فرده وجماعاته، ورقي درجات الكمال".(٢)

خامسا: الهدايات القرآنية هي وجه الإسلام المشرق ورافد من روافد الدعوة الإسلامية، فإبراز مثل هذه الهدايات وتسهيل الوصول إليها من شأنه أن يوضح الصورة الناصعة لدين الإسلام بمبادئه وقيمه، بعيدا عن الصورة المشورة التي يراد نشرها عنه من خلال التطبيقات المشوهة لبعض من ينتسب للإسلام، فإن النفس البشرية إذا سمعت عن الرشد الذي يهدي إليه القرآن لا بد وأن يؤثر فيها، كما قال تعالى عن الجن لما سمعوا القرآن: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١-٢].

يقول عبد الرحمن السعدي: "والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم... وجعلوا السبب الداعي لهم إلى الإيمان وتوابعه، ما علموه من إرشادات القرآن، وما اشتمل عليه من المصالح والفوائد واجتناب

(١) زاد المعاد، ابن القيم: ٤/ ١٤٠.

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس: ص ١٤٣.

المضار، فإن ذلك آية عظيمة، وحجة قاطعة، لمن استنار به، واهتدى بهديه، وهذا الإيمان النافع، المثمر لكل خير،
المبني على هداية القرآن".[1]

فنحن بحاجة ماسة في هذا العصر إلى استخراج الهدايات القرآنية وإبرازها؛ لأنَّ الإسلام يتهم بمعاداة الإنسانية، وعدم احترام الآدمية، بسبب تصرفات بعض الغلاة من الفئة الضالة، والواجب إبراز الوجه الحقيقي لدين الإسلام، وعناية القرآن بحقوق الإنسان.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي: ص ٨٩٠.

المبحث الثاني: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة احترام حقوق الإنسان.

لا شكَّ ولا ريب أنَّ قضية حقوق الإنسان من حيث كونِه إنسانًا، قضية محورية في مجتمعاتنا المعاصرة، وكذلك قضية المحافظة على حقوق الإنسان مبدأ تتنافس الأمم في ادعاء المحافظة عليه، وتقرير القيم الناهضة بها، فقد استيقن عقلاء العالم بعد مرحلة الاستعمار والحروب العالمية أنه يجب المحافظة على قيم حقوق الإنسان، وانطلاقا من إيماننا الراسخ أن القرآن يهدي للتي هي أقوم في جميع مجالات الحياة وجميع ما تطلع إليه البشرية، بما فيها حقوق الإنسان، فإنه ولا بد أن نجد في القرآن الكريم هدايات ودلالات على وجوب تكريم بني الإنسان، والحافظ على حقوقه وصيانة آدميته، وهذا الذي وقع بعد مجيء الإسلام، ونزول تشريعات القرآن، ظهرتْ الصورة المشرقة لمدنية الإسلام في ضل هدايات القرآن.

ولإبراز هذه القيم الإنسانية وطريقة استمدادها من القرآن الكريم، يحسن بنا الوقوف على بعض مظاهرها في القرآن الكريم

أولاً: هداية القرآن إلى قيمة تكريم جنس بني الإنسان:

من القيم التي هدى إليها القرآن الحكيم تكريم الإنسان الكرامة اللائقة بمخلوق أبدعه الخالق سبحانه وسوَّاه، والرفع من قيمته وترك إهانته وابتذاله، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويقول كذلك ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦-٨] فالهدايات المستفادة من هذه الآيات أنَّ الآدمي مكرم بأصل خلقته وتنشئته، فيجب احترام هذا النظام الربَّاني، والاستمرار في تكريم هذا الإنسان حيًّا وميّتا، فالناس متساوون في أصل التكريم الإنساني، ثم هم يتفاوتون في باقي الكرامة بحسب أعمالهم، هذا

هو المبدأ، وهذا هو الميزان، يقول العبد الحميد بن باديس: "ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدِّين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها فيقول: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ ويقرر التَّساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس ويُبَيّن أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ".(١)

وهذا التكريم الأصلي يشمل جميع بني الإنسان مؤمنهم وكافرهم، إذ هو تكريم عام يشترك فيه الجميع، كما قال أبو السعود: "(ولقد كرمنا بني آدم) قاطبةً تكريماً شاملاً لبَرّهم وفاجرِهم أي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدل والتسلط على ما في الأرض والتمتع به والتمكُّنِ من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يُحيط به نِطاقُ العبارةِ".(٢)

ويوضح ابن باديس هذا الجانب من الهداية فيقول: "هذا التكريم المذكور في المسألة السابقة هو عامٌّ للنوع الإنساني من حيث هو إنسان لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر؛ لأنَّه راجع للخلقة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بما عنده من عقل وتفكير، وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ: (بني آدم) ".(٣)

وهذا التكريم الإنساني له أبعاد سامية على رأسها، تخليص الإنسان من سيطرة هواه حتى لا يصير عبدا لشهواته، فالقيم القرآنية ترفع العبد من مستوى البهيمية فترقي به إلى مستوى الإنسانية في أسمى معانيها، وهو الإنسان المتجرّد لربّه القائم بأمر دينه(٤)، يقول الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ

(١) آثار عبد الحميد بن باديس، عمار طالبي: ٣/ ٢٣٤.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي: ١٨٦/٥.

(٣) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس: ص ١٢٩.

(٤) انظر، مقومات الإنسانية في القرآن الكريم، د. أحمد إبراهيم المهنا: ص ١٢- ١٣.

تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣- ٤٤] فهذه هي النظرة المتوازنة للتكريم الإنساني.

ثانياً: هداية القرآن إلى تقييم الإنسان بعمله لا بنسبه وجنسه:

وهي قيمة قرآنية تمثل العدل في أسمى معانيه، حيث دلَّت الآيات القرآنية على أنَّ الميزان الذي يوزن به الناس هو مدى موافقتهم لشرع الله، واستقامت أعمالهم، وليس بسبب أنسابهم وأعراقهم وألوانهم، التي ليست من كسْبهم بل قدرٌ مقدور عليهم، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فقد بيَّنَتْ الآية أصل منشأ الخليقة وهو مصدر واحد (آدم وحواء) ثم تناسلوا وصاروا بطونًا وأفخاذًا، فلا ينبغي أن يفخر بعضهم على بعض إذ هم من أصل واحد، وإنما كرامة الإنسان بتقوى الله والعمل الصالح ، قال مكيٌّ بن أبي طالب: "ليس فضلُكم بأنسابكم إنَّما الفضل لمن كثر تقاه".(١)

وهذه في الحقيقة قاعدة قرآنية إنسانية جاء بها القرآن قبل أن تعرف النظم الإنسانية حقوق الإنسان، فمازالت أمم الشرق والغرب إلى وقت قريب تعالم الناس على حسب انتماءاتهم وأجناسهم وألوان بشرتهم، يقول محمد رشيد رضا عن الإسلام: "وجعل قاعدة الإنسانية العامة قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣]. هذا درس عام في حقوق الإنسانية العامة، علمه الإسلام لجميع البشر بالقول والفعل، فاستفادوا منه بقدر استعدادهم في كل عصر من الأعصار".(٢)

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب: ١١/ ٧٠١٢.

(٢) مجلة المنار، محمد رشيد رضا: المجلد ١٥ ص ٠٩.

والعقل والفطرة يقضيان بصحَّة ومتانة هذه القيمة التي تساوي جميع بني الإنسان في الفُرَصِ، وتعلِّق النجاح بكسب اليد وإحسان العمل، لا بأوصاف ليست داخلة ضمن كسب العبد وقدرته، فمثل هذه القيم هي التي تسهم في بناء وتشْييد الحضارة، حيث يجد الفردُ نفسه مُمَكَّنًا مستوفيا حقوقه، ليس أمامه إلا الإبداع والتميُّز في العمل، ونصب عينيه قوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] فليحذر أهل عصرنا من الشعوبية والجهوية والعشائرية المخالفة لهدي القرآن.

ثالثاً: هداية القرآن الكريم لتقرير مبدأ الحق في العيش بأمن وأمان:

من حقوق الإنسان التي لا جدال ولا مراء في ثبوتها شرعًا وعقْلاً، الحقُّ في الحياة الكريمة، والعيش بأمن وأمان؛ لأنَّ الله تعالى الذي خلق العباد ووهبهم الحياة هو وحده من يقرّر متى يموت الإنسان ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢]، وليس لأيّ مخلوقٍ أن يضع حدًّا لحياة مخلوق آخر، أو يهدِّدها من غير سببٍ أو حقٍّ شرعيٍّ(١)، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا﴾ [المائدة: ٣٢]

فقد ذَمَّ القرآن الكريم الاعتداء على حقِّ حياة رجلٍ واحد، وجعله من قبيل سلب حياة الناس أجمعين، إشارة إلى أنَّ مبدأ احترام حقِّ الناس في الحياة، وأن الاعتداء على هذا الحق كبير،

يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: "الحقُّ في الحياة حقٌّ مقدس، فلا يجوز سفك دم حرام، أو الاعتداء على إنسان بغير مسوّغ ولا سبب مشروع؛ لأنَّ الإنسان

(١) ينظر: الاعجاز التشريعي في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية حول حقوق الإنسان، د. مريم الدويلة: ٣٦١-٣٦٤.

صنيعة الله في هذا العالم، وكلُّ اعتداء عليه اعتداء على فعل الله وتجاوز لحكمته وتحدّ لإرادته. لذا استنكر القرآن العظيم أوَّل جريمة قتل حدثت في الدنيا، وهي قَتْلُ قابيل لأخيه هابيل".(١)

والحقُّ في الحياة الكريمة الآمنة، قيمة إنسانية يجب المحافظة عليها، وسدُّ الذرائع أمام كلِّ ما يفسدها، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ١٢٦] فقد دعا إبراهيم ربَّه بالحياة والعيش الآمن لأهل البلد لأنها قوام السعادة، وحاجة فطرية لجميع بني الإنسان، يقول أبو بكر الجزائري: **"من هداية الآيتين:** مِنَّة الله تعالى بجعل البيت مثابة للناس وأمناً توجب حمد الله على كل مؤمن...[و]الكافر لا يحرم الرزق لكفره بل له الحق في الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم".(٢)

فالمطلوب اليوم تفعيل هذه الهداية في مجتمعاتنا المعاصرة، ومحاربة أفكار الغلو والتطرف الفكري، الذي يعطي الحقَّ لبعض الناس في إزهاق النفوس الآمنة، والتسلُّط على الرقاب المستأمنة، بدعوى لا أساس لها من الصحَّة في دين الله، فإنَّ الأمم تبنى بالمحافظة على الكيان الإنساني وليس بهدمه لأتفه الأسباب.

(١) التفسير المنير، الزحيلي: ١/ ٤٥٠.

(٢) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري: ١/ ١١٣.

المبحث الثالث: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة التراحم الإنساني.

تعدُّ الرحمة في الإسلام قيمة دينية وإنسانية عُليا، ومبدئًا إسلاميا عامًا في التعامل، فدين الإسلام جاء رحمة للعالمين بغضِّ النظر عن انتماءاتهم، والغرض منه إخراج الناس من الظلمات إلى النُّور، ومن ضِيق الدنيا إلى سعة الآخرة، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فهو صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع البشرية دون استثناء، فمن اتَّبعه فقد استوجب كمال الرحمة، ومن تخلَّف عنه حُرِمها مع بقاء أصل الرحمة التي تشمل الجميع، يقول محمد الأمين الشنقيطي: " ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أنَّه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم؛ لأنَّه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إنْ اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى ".(١)

ورحمة الله لغير المسلمين الداخلين في عموم كلمة (العالمين) رحمة خاصة، يوضحها الطاهر بن عاشور فيقول: "وأمَّا رحمة الإسلام بالأمم غير المسلمين فإنَّما نعني به رحمته بالأمم الداخلة تحت سلطانه وهم أهل الذمة. ورحمته بهم عدم إكراههم على مفارقة أديانهم، وإجراء العدل بينهم في الأحكام بحيث لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم في الحقوق العامة".(٢)

فمبدأ الرحمة العامة بحدودها وإطارها الشرعي التي تشمل المؤمن والكافر والبر والفاجر، مما هدى إليه القرآن، "ونحن اليوم مطالبون بأن نتراحم ونتعاون فيما بيننا، فلا يبغي بعضنا على بعض، ويعين القوي الضعيف، ونطفئ نار العداوة فيما بيننا، وليحترم كل منا كرامة أخيه الانسان في الداخل والخارج،

(١) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي: ٨٦٨/٤.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور: ١٧/ ١٦٩.

مسلماً كان أو غير مسلم، فلا يقتله ولا يمثل به، ولا يدمر بنيانه، ولا يهدم عمرانه، ولا يقطع شجره أو يقلع زرعه".(١)

فيجب على النفوس المؤمنة أن لا يحملها الولاء والبراء على ترك أصل الرحمة الإلهية التي وسعت كلَّ شيء، قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، قال الطبري: "ورحمتي عمَّت خلقي كلَّهم".(٢) ويزيد أبو منصور ذلك توضيحا في تفسيره فيقول: " ما من أحد من مسلم وكافر إلا وعليه من آثار رحمته في هذه الدنيا، بها يتعيشون ويؤاخون ويوادون، وفيها يتقلبون، لكنها للمؤمنين خاصة في الآخرة، لا حظ للكافر فيها".(٣)

والخلاصة: أن هذه الإشارات والهدايات القرآنية تؤسس وتعزز قيمة إنسانية مهمة وهي مبدأ الرحمة في التعامل مع بني الإنسان، سواء في المعاملات الدنيوية، أو المعاملات الدينية، فالقرآن جاء هدى ورحمة الله للعالمين، ونبينا صلى الله عليه وسلم الذي كان خلقه القرآن، كان رحمة على قومه في جميع مواقفه، فقد تفانى في دعوتهم وصبر على ذلك رحمة بهم وشفقة عليهم قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقد رَحِمَ النبيُّ ﷺ قومه على شركهم وإعراضهم حين جاءه مَلَكُ الجبال يستأذنه في أن يُطْبِقَ الأخشبين على القوم الذين كذَّبوه فقال: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».(٤)

---

(١) القيم الإنسانية في القرآن الكريم، وهبة الزحيلي: ص ١٢- ١٣.

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ١٠/ ٤٨٣.

(٣) تأويلات أهل السنة، أبو منصور الماتريدي: ٥/ ٥٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم آمين. ٤/ ١١٥. برقم (٣٢٣١) ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من الأذى. ٣/ ١٤١٨.برقم (١٧٩٥).

فإذا أراد المسلمون اليوم إعادة بعث مجدهم، وإقامة حضارتهم، فعليهم أن يضعوا هذا المبدأ نصب أعينهم، وهو:

(قيمة الرحمة في القرآن)، فالبشرية اليوم واقعة تحت سيطرة عبيد الشهوات، ومحتاجة لمن يرحمها بالهدى والقرآن، ليخرجها من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، والأمم اليوم تذعن للدين والأفكار التي فيها معاني الرحمة بالإنسانية، التي افتقدتها في الأنظمة الوضعية المتوحشة التي تستغل الإنسان أبشع الاستغلال، فهذا هو الجانب مشرق من دين الإسلام الذي قررته هدايات القرآن، ينبغي إبرازه والدعوة إليه، بالمفهوم الشرعي الذي قرَّرته النصوص الأخرى، وليس بالفهم السقيم لهذا المبدأ الذي فهمه بعض المعاصرين وهو الرخاوة المطلقة واللين المطلق في كل الأحوال، وإلغاء مبدأ الولاء والبراء، وهذا ليس المعنى الحقيقي لقيمة الرحمة في الإسلام.

المبحث الرابع: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة التعايش الإنساني:

التعايش الإنساني: هو تساكنُ وتسالمُ بني الإنسان، وإيجاد مساحةٍ مشتركة من الاتفاق والتعاون من أجل ضمان استمرارية الحياة، وتحقيقِ مصالح جميع الأطراف، مع احتفاظ كلِّ طرفٍ بخصوصيَّاته.(١)

أصبح هذا التعايش الإنساني مطلبًا مُلِحًّا في ظِلِّ هذه التغيرات التي طرأَتْ على العالم من اختلاط الأجناس بعضها ببعض، وانفتاح العالم على مصراعَيْهِ في ظِّل هذه العولمة وتطوُّر تقنيات التواصل الاجتماعي؛ وفي هذا الخصوص نجد في القرآن الكريم إشارات إلى هذه القضية،

يمكن أن نستخلص منها هدايات مفادها: أنَّ الأصل في بني الإنسان أنهم خلقوا للتعارف والتعايش، لا للتقاتل والتنافر؛ لأنَّ الجو الذي يسوده التعايش والأمن هو الجو الأمثل لبلوغ دعوة الإسلام، وانشراح الصدور لقبول دعوة الحق والنور، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٦] "ومن هنا نعلم أن الإسلام لم ينتشر بالشدة والقسوة – كما يزعم بعض أعدائه وشانئيه – وإنما انتشر وشاع بالحجة والإقناع وباللطف لا العنف؛ ولم تكن مهمة المسلمين النيل من الكافرين؛ بل إقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه؛ وليس بعد ذلك مطعن لطاعن".(٢)

ونحن إذا تتبعنا آي القرآن الكريم نبحث فيه عن قيمة التعايش الإنساني في الإسلام، نجد إشارات قوية، وإلماحات ظاهرة وخفية إلى مبدأ التساكن بين بني الإنسان، من أجل فهم دعوة الحق والإقبال عليها.

---

(١) الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري: ص ٧٧– ٧٨. وانظر: التعايش والتعارف في الإسلام، رضوان السيد: ص ١٢– ١٥.

(٢) أوضح التفاسير، ابن الخطيب: ٢٢٢/١.

من ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالشاهد من الآية أنَّ الناس يشتركون في الأخوة الطينية، فكلُّهم من آدم وآدم من تراب، فلا يستعلي جنسٌ على جنسٍ، لأنَّهم خلقوا للتجانس والتعارف، وهنا تظهر عظمة الإسلام الذي أمر بالتعايش بين الأجناس ونهى عن التفاخر والتناحر، يقول ابن كثير في تفسيره: "فجميع الناس في الشرف **بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء**، وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً، منبهاً على تساويهم في البشرية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كلٌّ يرجع إلى قبيلته".(١)

فمن هدايات هذه الآية: " أنَّ الأصل أن تباين القبائل الناس وسيلة للتعارف والتحَّاب، لا أن يتخذ مطيَّة للتباغض والتفاخر"(٢) وأن الغرض من التعارف هو التعاون والتكاتف، وبهذا ميز الإنسان عن الحيوان، فالله سخَّر بعض بني آدم للبعض الآخر، وجعل العلاقة بينها تكاملية، ومن أجل هذه الحكمة خلقهم، وهذه هي الصورة الناصعة لدين الإسلام، المستنبطة من هداية القرآن، فقد جاء لسعادة البشرية جمعاء، ولن تجد البشرية هذه القيم العالية إلى في دين الله الحق، يقول ابن باديس: "ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدِّين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها فيقول:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ ويقرِّرُ التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس، ويُبَيّن أنهم كانوا أجناساً للتمييز لا للتفضيل، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٧/ ٣٨٥.

(٢) هدايات القرآن الكريم، مجموعة من المتخصصين (معالم التدبر): ص ٥١٧.

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ويدعو تلك الأجناس كلّها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة".(١)

وهكذا نجد في قوله سبحانه : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء: ٥٣] أمرا للعباد بلزوم الكلمة الحسنة، المنتقاة من أطيب وأحسن الكلام، حتى يقع التآلف والتجانس فيما بينهم، فإن بني الإنسان مفطورون على محبة الكلمة الطيبة، والاقتراب من صاحبها، وبغض الكلمة السيئة والنفور عن صاحبها، فالهداية المستنبطة من الآية –وهي وجوب قول التي هي أحسن– تؤسس لقيمة خلقية إنسانية، وهي أن الكلام الحسن الطيب ينشر جوًّا رحبًا للتفاهم، حتى مع وجود الاختلاف والتباين فلا مناص من الكلمة الطيبة، يقول ابن باديس: "اللسان أداة البيان، وترجمان القلب والوجدان، والكلام به يتعارف الناس ويتقاربون، وبه يتحاجون ويتفاصلون...فهو رابطة أفراد النوع الإنساني وعشائره، وأممه، وبريد عقله وواسطة تفاهمه، فإذا حسن قويت روابط الألفة، وتمكَّنت أسباب المحبة، وامتدَّ رواق السلام بين الأفراد والعشائر والأمم. وتقاربت العقول والقلوب بالتفاهم، وتشابكت الأيدي على التعاون والتآزر، وجنى العالم من وراء ذلك تقرر الأمن واطراد العمران".(٢)

هذا وإن هذا التعايش لا يعني بأيّ حالٍ التنازل عن الأحكام الشرعية الثابتة في القرآن والسنة كالبراء من المشركين، وبغض ما يأتيه المخالفون، ومجاهدة المشركين إذا توفرت أسبابه ودواعيه، وإنما المقصود هو العدل الذي جاء به القرآن والوسطية هدتْ إليها إرشادات القرآن، من البِرّ والاقساط مع المخالفين ترغيبا لهم في دين الإسلام، وأما إذا قامت سوق الجهاد، وظهرت العداوة وتربَّص الأعداء بنا، فمن الخبل أن نحسِّن الظن بأعدائنا، يصدق ذلك

(١) آثار عبد الحميد بن باديس، عمار طالبي: ٣/ ٢٣٤.

(٢) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس: ص ١١٣.

قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٨-٩] .

يقول الشيخ ابن عثيمين: "وهذا إحسان ﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ ﴾ [الممتحنة: ٨] وهذه المعاملة بالعدل، فما نُهي الإنسان أن يعامل الكافر بالعدل، أو بالفضل، بشرط ألا يكون ممن يقاتلوننا في الدين".(١)

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز: " فهذا من الحقوق المشروعة بين المسلم والكافر، ومن ذلك حسن الجوار، فإذا كان جارًا لك تحسن إليه، ولا تؤذِهِ في جواره، وتتصدَّقُ عليه إن كان فقيرًا، أو تهدي إليه إن كان غنِيًّا وتنصحُ له فيما ينفعه؛ لأنَّ هذا مما يسبِّبُ رغبته في الإسلام ودخوله فيه".(٢)

(١) تفسير سورة النساء، ابن عثيمين: ١/ ٧٧.

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز، عبد الله الطيار ومحمد الموسى: ١/ ٢٩٠- ٢٩١.

المبحث الخامس: الهدايات القرآنية وتأصيلها لقيمة العدل الإنساني:

العدل قيمة عظيمة في دين الإسلام ينبغي مراعاتها في الأقوال والأفعال، فبالعدل قامتْ السموات والأرض، وهو مطلوب على كلِّ حال مع جميع الناس، بغضِّ النظر عن انتمائهم ومدى قربهم من الشخص، لذلك أمر الله بالعدل في الأقوال فقال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] والعدل أساس التقوى فلا تتمُّ تقوى العبد لربه حتى يعدل مع المؤالف والمخالف، بل حتى يعدلَ مع العدوِّ اللَّدود، قال سبحانه: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] قال القرطبي: "ودَلَّت الآية أيضاً على أنَّ كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه".(١)

والعدل قيمة خلقية إنسانية لا تتبدَّل ولا تتغير بمرور الزمن واختلاف الأمصار، فالنفوس البشرية تهفو إليها، وترى أنه الفطرة التي فُطِرْنَا عليها، فمن جاوزها فقد تعدَّى وظلم، لذلك كثرت آيات القرآن التي تهدي للتي هي أقوم في هذا الباب العظيم، وتحذر من ما يضاده من البغي والظلم والاعتداء، من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨] فقد دلَّت هذه الآية على وجوب القسط والعدل، وحذرَتْ من تأثير البغض المشروع والبراءة المشروعة على هذه القيمة العليا،

يقول الطبري في معنى الآية: "ولا يحملنَّكم عداوة قوم على ألا تعدلوا في حكمكم فيهم، وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة".(٢)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٦/ ١١٠.

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري: ٨/٢٢٣.

ويؤكد هذا المعنى الحافظ ابن كثير فيقول: "أيْ: لا يحملنكم بغض أقوام على ترك العدل، فإنَّ العدل واجب على كلِّ أحد، في كل أحد، في كل حال".(١)

وقد طبَّق الصحابة هذا الهدى القرآني، وضربوا أروع الأمثلة في التجرُّد لقيم العدل في الاسلام، فاعترف لهم العدوُّ والصديق، بأنهم أصحاب مبادئ عالية، روى مالك في موطئه عن: "سليمان بن يسار؛ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر، فيخرص بينه وبين يهود خيبر، قال، فجمعوا له حُلِيًّا مِنْ حُلِيِّ نسائهم. فقالوا: هذا لك، وخفف عنَّا، وتجاوز في القسم. فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر يهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليَّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها. فقالوا: بهذا قامت السماوات والأرض".(٢)

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[الأنعام: ١٥٢]

وقوله كذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة: ٨] تأكيد على نوعٍ مهِمٍّ من أنواع العدل، ألا وهو العدل في القول والشهادة والمواقف التي تصدر عن اللسان، كلها يجب أن تُلْجَم بلجام العدل والقسط الذي أرشد إليه القرآن، سواءٌ مع القريب أو البعيد(٣)،

يقول الإمام ابن كثير: "يأمر تعالى بالعدل في الفِعال والمقال، على القريب والبعيد، والله تعالى يأمر بالعدل لكلِّ أحد، في كل وقت، وفي كل حال".(٤)

إنَّ إشاعة مثل هذه الهدايات القرآنية، وبيان سبق القرآن الكريم للتأصيل لها، لباب عظيم من أبواب الدعوة إلى الله، وإقناع غير المسلمين أنَّ الإسلام هو دين الحق الذي أصَّل للقيم الإنسانية قبل نحو من أربعة عشرة قرنًا؛ فإن

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٢/٢.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (رواية يحيى) كتاب المساقاة، باب: ماجاء في المساقاة برقم (٢٥٩٥).

(٣) انظر، القرآن والقيم الإنسانية، عبد اللطيف محمد عامر: ص ١٠٦ فما بعدها.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٢/٢.

نفوس الناس اليوم تتوق للعدالة في جميع ميادنها، بعد أن ذاقت مرارة الظلم والاستغلال والاعتداء على الحقوق بأتفه الأسباب والمسوغات، فإذا وُفِّقْنا لعرض الإسلام بقيمه القرآنية التي تكرم البشرية وتحفظ حقوهم، هنالك يدخل الناس في دين الله أفواجا، يقول الشيخ ابن باديس متحدثًا عن الإسلام: "ويأمر بالعدل العام مع العدو والصديق فيقول: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾. ويحرم الاعتداء تحريماً عاماً على البغيض والحبيب فيقول: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾.ويأمر بالإحسان العام فيقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ويأمر بحسن التخاطب العام فيقول: ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾فلما عرفنا هذا وأكثر من هذا في الإسلام – وهو الدين الذي فطرنا عليه الله بفضله – علمنا أنَّه دين الإنسانية الذي لا نجاة لها ولا سعادة إلا به، وأن خدمتها لا تكون إلا على أصوله، وأن إيصال النفع إليها لا يكون إلا من طريقه، فعاهدنا الله على أن نقف حياتنا على خدمته ونشر هدايته، وخدمة كل ما هو بسبيله ومن ناحيته. فإذا عشت له فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها، في جميع أجناسها وأوطانها، وفي جميع مظاهر عاطفتها وتفكيرها، وما كنا لنكون هكذا إلا بالإسلام الذي ندين به ونعيش له ونعمل من أجله".(١)

إنَّ صناعة الحضارة وبناء أمجاد الأمة لا يمكن إلا أن يؤسس إلا على صرح العدل والعدالة، فالله عز وجل عدل يحب العدل، وينصر من يقوم بالعدل ويمكن له في الأرض، فإن من أسباب زوال الملك وذهاب الحضارة الإعراض عن هدي القرآن في إحلال قيم العدل في المجتمع، الذي تحفظ عليها استقراره، وأمنه، وتضمن له الاستمرارية بعون من الله.

(١) آثار عبد الحميد بن باديس، عمار طالبي: ٣/ ٢٣٥.

الخاتمة : نتائج البحث، والتوصيات.

الحمد لله في البدء والختام، والصلاة والسلام على نبيّنا محمَّد خير الأنام، وعلى آله والصحب الكرام، ومن اتبعهم واقتفى أثرهم بإحسان، أمَّا بعد:

فبعد هذه الإطلالة على دور الهدايات والإرشادات القرآنية في تأصيل بعض القيم الإنسانية، وبيان أثرها في بناء الحضارة الإسلامية،

يمكننا أن نلخص أهم نتائج بحثنا في نقاط:

١-القرآن الكريم مليء بالهدايات القرآنية المؤسِّسة لقيم حقوق الإنسان على وجهها الصحيح، فإن هذا القرآن الذي نزل لإصلاح جميع شؤون بني آدم، تناول القضايا الإنسانية، وقرر القواعد والمبادئ التي تحكمها، قبل أن تعترف بها المجتمعات الغربية بِآخَرَة.

٢-الهدايات القرآنية المتعلِّقة بتأصيل القيم الإنسانية، صريحة وواضحة، في النظر إلى الإنسان من حيث كونه إنساناً -من جهة- فَتُحْتَرَمُ إنسانيته وفطرته وتكرم، والحكم عليه بالنظر إلى أقواله وأفعاله من جهة أخرى قياساً على الشرع، دون مراعاة الجنس واللون والعنصر وغيرها من الأمور التي لا كسب للإنسان فيها.

٣-الهدايات القرآنية جاءت لتقرِّرَ حقوق الإنسان المشروعة كالحق في العيش والأمان والاحترام والتكريم...، وتأصل للقيم النبيلة للإنسانية، في إطارها الشرعي الذي أرشد إليه وحيُ ربِّ العالمين.

٤-الحضارة الإنسانية لا تُبْنَى بناءً صحيحاً إلا على القيم الصحيحة المستمدة من الوحي، وليس من القيم المصطنعة التي يضعها البشر، فمصدر القيم عندنا في

الإسلام هو الشرع الذي أبرزُ مصادره القرآن الكريم، فالأمَّة اليوم مطالبة بتوضيح الهدايات القرآنية التي أصلت للقيم الإنسانية الحقيقية ونفي الزيف عنها.

٥-إنَّ ما وصلت إليه الحضارة الإنسانية اليوم من انحدار شديد في مجال القيم والأخلاق، وجنوحها نحو خدمة شهوات الإنسان ولو بمخالفة الفطرة الإنسانية، سببه عدم التقيُّد بالقيم الإنسانية الإسلامية، التي هدى إليها القرآن الكريم، فلا خلاص للبشرية اليوم إلا بالرجوع إلى تلك الهدايات وتأسيس القيم الإنسانية على صرحها.

التوصيات:

في الختام أوصى الباحثين بتتبع الهدايات القرآنية المؤسِّسَة للقيم الإنسانية في سائر آيات القرآن الكريم فهي كثيرة، وإنما اقتصر هذا البحث على أهمها وأبرزها، ويمكن التوسُّع في الموضوع ببحوث أكاديمية مطوَّلة (ماجستير- دكتوراه) تعطي القضية حقَّها.

كما أوصي الباحثين أن يعتنوا بإبراز الهدايات القرآنية التي تناولت موضوع القيم الإنسانية، وترجمتها إلى اللغات العالمية، ليطلع غير المسلمين على الهدي القرآني في المجال الإنساني، فتطمئن قلوبهم لمصداقية دين الإسلام، فإنَّ الإنسانية اليوم تعاني، وتبحث عن مخرج لها، ولن تجده إلا في هدايات القرآن.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع:

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. **الأفعال**، سعيد بن محمد المعافري السرقسطي، المعروف بابن الحداد، تحقيق: حسين محمد شرف، مؤسسة دار الشعب، مصر، ١٣٩٥هـ.

٣. **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، ط٦، المطبعة المصرية ومكتبتها، ١٣٨٣

٤. **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، أبو بكر جابر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ.

٥. **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٦. **تفسير سورة النساء**، محمد بن صالح العثيمين، ط١، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٣٠هـ.

٧. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ.

٨. **التعايش والتعارف في الإسلام**، رضوان السيد وآخرون، ط١، منظمة التعاون الإسلامي، ١٤٤١هـ.

٩. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٠. **الحوار من أجل التعايش**، د.عبد العزيز بن عثمان التويجري، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ.

١١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، القاهرة، ١٤٢٢ هـ.

١٢. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، دار طوق النجاة، بيروت ، ١٤٢٢هـ

١٣. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سنة ١٣٧٤هـ.

١٤. **هدايات القرآن الكريم**، مجموعة من المتخصصين (معالم التدبر)، ط١، شركة معالم التدبر، الرياض، ١٤٤٠هـ.

١٥. **الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية**، نخبة من المتخصصين، كرسي الهدايات القرآنية، جامعة أم القرى.

١٦. **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

١٧. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٨. **فتاوى نور على الدرب**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، ط١، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٢٨هـ,

١٩. **القرآن والقيم الإنسانية**، عبد اللطيف محمد عامر، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٨هـ.

٢٠. **القيم الإنسانية في القرآن الكريم**، وهبة الزحيلي، ط٢، ١٤٢٩هـ، دار المكتبي، دمشق.

٢١. **القيم بين الإسلام والغرب– دراسة تأصيلية تطبيقية–**، د. مانع بن محمد المانع، ط١، دار الفضيلة، الرياض ، ١٤٢٦هـ.

٢٢. **منهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في البناء الحضاري**، أ.د. وضحة عليوي صالح، مجلة الباحث للعلوم الإسلامية، المجلد الثاني، العدد الأول، ٢٠٢١م.

٢٣. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ.

٢٤. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان الداودي، ط١، دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٥. **مقومات الإنسانية في القرآن الكريم**، د. أحمد إبراهيم مهنا، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة ٣١، سنة ١٤٢١هـ.

٢٦. **موطأ مالك (رواية يحيى الليثي)**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ.

٢٧. **نونية ابن القيم (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)**، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، ط٤، دار عطاءات العلم، الرياض ١٤٤٠هـ.